

على حربة الزمن

من أي الطرقات أتيت
وكيف تناساني الجرح

* * *

والجرح على عيني
نشيد يعزفه الهدب
تدنيني من كف القبر
والقبر يريد كفن
وأنا

منبوذ أحمل في بغداد صليب الدمع
وأشفي ميتا
يشنقني الفقر
زوادتي الخمر
لا كف صديق تمنحني بسمة
وضفائر أمي تدعوني
وأصابع أمي تسكنيني
يا أمي أجهل كيف البين يكون عويلا
أجهل كيف النهر يكون خريز
وأنا
في بغداد الاحلام غريب
وضفائر أمي تدعوني
لكن الدرب الى سنجار طويل
وما بين الماضي في أروقة الليل
وما بين الآتي في محرقة الليل
مزمار رحيل

جاسم الياس

بغداد

الأنبي يا زمني
منسي في حانات الانسان
زوادتي الخمر
وطعامي قهقهة الفقراء
تدنيني من ظل الغربة
فاخر على كفي
تنادمني الريح
يا ربيع
ضفائر أمي تدعوني
لكن الدرب الى سنجار طويل
وما بين الماضي في أروقة الليل
وما بين الآتي في محرقة الليل
مزمار رحيل
ويقاتلني النهر
يا نهر
ضفافي يحفرها الغيب
وقوادمي الثكلى
هدتها أجنحة الرمل
أوصاب منها تأتيني
فيهددني ركب
ودمي بين الأثنين
جسور للآتين من الغربة

* * *

الأنبي يا زمني
لا أعرف

ينفض عنها الغبار :

اسمها جيدا . معركتنا فاشلة ، فقيم تكابر ؟ دمرنا بلادنا على امتداد نصف قرن ، وما نحن ندمر شعبنا فردا بعد اخر . دراستي مجدبة اكثر . ماذا فعلتم بالطائرات التي اختطفتموها طوال عدة سنوات ؟ منكم من استسلم ، ومنكم من خدع ، وفيكم من انتحر عندما وجد الباب موصدا . فتيان وفتيات كالربيع زهوا يعيشون الان في زبانات رطبة . الوقود يحترق والحصى لا تصير طعاما . حتى السلطات التي استنفرت الشعوب لمعركة تحرير لم تستطع ان تحتفظ برهائن او بطائرات مختطفة خوفا من انتقام . خير لكما ان تعودا من باريس كسائحين . قولا ان خطط ان فلسطين فد ماتت في قلب اكرم زهدي ، وان اكرم قد مات منذ ولد . قولا انه يعيش الان حياة مستعارة ، يتناسى فلسطينه بسبب الدراسة وقناني البيرة السوداء وجوزفين الشقراء ، والسطور الفلسطينية القليلة التي تنشر في الصحف ، والهلم الذي تسلق جسده يوما بعد يوم حتى استقر في عينيه .

افكار .. افكار .. افكار . كان كمن يشاهد لوحة لبيكاسو القديمة .

- ١٤ -

قام اكرم زهدي مترنحا وراح يطوف على الموائد ، يردد بصوت عال الجملة القديمة التي حملها مع مناعه في حقيقة الهرب : « حكره . بكره . قال لي ربي عد للشرة : واحد . اثنان . ثلاثة . اربعة . خمسة . ستة . سبعة . ثمانية . تسعة . عشرة » كان كانه في حيه بالقدس ، يشترك مع اولاد السنوات العشرين التي مضت ، يصفهم واحدا بعد الاخر ، ويختار منهم بقرة « الحكره بكره » الباديء باللعب . هذه

المره وقعت العشرة عليك يا اكرم . نجت الموائد والقناني انفارغة وببير نادل الطعام وحتى جوزفين الشقراء .. الفرصة سانحة فائت انك من بلاد تشرق شمسها كثيرا .

الوجه متجهم لكن الجبين باذخ . الالوان والاصواء والاصوات تدخل الطعام دفعة واحدة كأنها كتبية جنود مدجين بالسلاح ، تقول ان العملية خاسرة حتى ولو نجحت ، وان فلسطينك لن ترفع رأسها المترنح بطائرة مسبية في الجو ، وان على الارض من سيسفه عمك ، ومن سيميد الطائرة بملاحيا وركابها ، ومن سيزج بك في جحيم السين والجيم والزبانات التي تاكل العمر . صحيح . صحيح يا اكرم زهدي ، لكن اللعب لا يمكن ان يبقى لعبا ، والاطفال لن يظلوا اطفالا . الرجال وحدهم هم الذين يختارون انفسهم بانفسهم . من داخلك انت رشح عقلك وجسدك وحياتك في سبيل البرتقال المسبي والدهشة ، مجرد الدهشة التي سجت بسببها .

وراح يدق رأسه بجدران الطعام .. وظل الصديقان صامتين كأنهما ميتان .

- ١٥ -

بدأ اكرم زهدي يبكي . كانت عيناه بدموعهما البيضاء شبيهتين بمصباحين ، وخصه ببير بنظرة صغيرة من جانب فمه ، وباتسامة لا مبالية وضعها على شفثته .. كانه يعرف هذه الدموع معرفة جيدة . ودونما وداع .. القى الشابان نظرات سريعة على الوجه الملبد بالقيوم ، ووضعوا على المائدة بين غابة القناني الفارغة جواز السفر الزيف .. لعسل وعسى !

عادل ابو شنب

دمشق